الأعمال القصصية الكاملة لفايز محمود:

انعكاس جليّ لتجربته الفكرية الوجودية ومعاناته في السجن والحب

عمان ـ «القدس العربي» ـ من يحيى القيسي:

الأعمال الكاملة للكاتب الأردني فايز محمود صدرت مؤخرا عن منشورات «البنك الأهلي الأردني» في مجلد ضم نحو 300 صفحة من أعماله الإبداعية، وقد جاءت بمرافقتها مقدمة للناقد د. محمد عبدالله القواسمة بعنوان «ملامح السيرة الذاتية في أعمال فايز محمود»، وشهادة للكاتب بعنوان «الإخلاص للوجود والأدب»، وكتب الروائي والشاعر إبراهيم نصرالله مقدمة لرواية محمود «الأبله» أما الناقد د. خليل الشيخ فكتب مقدمة لقصص «قابيل»، وهناك مقدمة أيضا للناقد د. سليمان الأزرعي لقصص «بلا قبيلة».

وقبل الولوج إلى هذه الأعمال نمر على سيرة الرجل المختصرة، فهو من مواليد المفرق عام 1941، وقد عمل خلال فترة الستينيات صحافيا في عدد من الصحف المحلية والعربية مثل: «المنار» و«فلسطين» و«الحوادث» و«البيان» الكويتية، كما عمل في الإذاعة الأردنية خلال بداية السبعينيات معلقا سياسيا ومنتجا ثقافيا، وخلال الفترة من 1974 ـ 1976 التحق بمنظمة التحرير الفلسطينية وعمل معلقا سياسيا في إذاعتها «العاصفة» في بيروت والقاهرة والجزائر، كما عمل خلال الثمانينيات في الصحافة الإماراتية والأردنية، وتولى خلال عام 1988 منصب مدير تحرير مجلة «أفكار» الثقافية التي تصدرها وزارة الثقافة، ثم رئيس تحرير مجلة «صوت الجيل» ومستشارا للوزير حتى عام 2001.

أما إصداراته فقد بلغت نحو عشرين كتابا في القصة والرواية والسرد التأملي والفكر، ومنها: الحقيقة: بحث في الوجود 1971، العبور بدون جدوى ـ قصص 1973، الأبله ـ رواية 1979، القبائل ـ قصص 1981، مشكلة الحب: العناء الإنساني دون جدوى 1982، تيسير سبول ـ العربي الغريب 1984، الحرية والضرورة في مجتمعات الإنسان والنمل 1985، أوراق فلسفية 1988، ثلاثة نقوش محجوبة 1989، صدى المنى 1990، قابيل ـ قصص 1990، شروق: نصوص الخفاء 2000، بلا قبيلة ـ قصص 2002.

يقول فايز محمود في شهادته الإبداعية التي تصدرت أعماله الكاملة موضحا علاقته بالكتابة والوجود «إن كافة قصصي الماضية تعكس حالة وجدانية وشعورية أو فكرية تنم في شتى تكويناتها عن أسبقية الرغبة في الحوار مع الآخرين، وليس في ذلك شيء مما قد يفهم على أنه هذيان، لا بمعناه الإيجابي إن وجد ولا بمعناه السلبي المتطرف في الانخلاع عن الواقع». ويضيف محمود «إن البؤرة المركزية في تكويني المعيشي والتثقيف الذاتي الذي وجدت نفسي مصوغا به، جمع هذه البؤرة في تلافيف وشتيت الفكر ومادته الواقعية أو المعرفية، والشطر الدرامي الذي يغوص في أحشاء الشعور في كليهما، فلا تعود القصة هكذا إلا محض شعور غير محدد مهما قد يبلغ عمقه أو يتسطح، ولا يغدو الشعور المحض قصة غائمة الملامح تنبت من بذرة محكمة بسلطة الحكي».

أما بخصوص «أعماله الكاملة»، فيقول عنها إنها «تضم الغالبية الأغلب من كتاباتي القصصية، وهي تعكس منظور هامشي الذي لا أستغني عنه في متن تجربتي الأدبية والفكرية والحياة، هامش أجد أنني قد أوسعه فيما أوتي من فرصة بعد، إن منحتني الحياة عمرا وقدرا وجيزا من الكفاية المعيشية».

أما الناقد والروائي د. محمد عبدالله القواسمة فيقول في كشفه عن ملامح السيرة الذاتية في أعمال فايز محمود السردية، والتي بدت في محاور: المكان الأول، الكتابة، السجن، المرأة، الصداقة «كان فايز محمود منذ صغره يحلم أن يكون كاتبا كبيرا، لذا فهو دائم المطالعة والبحث في العلوم المختلفة، إنه يعزو صموده في هذه الحياة القاسية، وبخاصة بعد فشل حبه إلى انشغاله بالقراءة والكتابة، هكذا نسمع صوت فايز نفسه في مخاطبة مجاهم بطل قصة «الخطأ» من مجموعة «العبور بدون جدوى» يقول «لولا الكتب لكنت يومذاك انتهيت، لكن إشراقا سطع على حين غرة في ذهنك، جعلك تنتبذ التفكير السوداوي، لأجل أن تعيش طول عمرك الباقي لتحقيق الحلم، بأن تغدو كاتبا كبيرا».

أما بخصوص بروز السجن في كتابات فايز، فيشير القواسمة إلى خروجه إلى بيروت وانضمامه إلى المقاومة الفلسطينية لأسباب وجودية بحتة كما يقول فايز نفسه «تورطت في العمل السياسي الذي لم أحمل له عبر حياتي كلها الثقة في ممارسته ذات البعد الواحد، فقد تأكدت أن ما ينقص الإنسان العربي هو التزامه الأخلاقي أولا وأخيرا..» ويقول القواسمة بعد هذه الإشارة «عاد فايز محمود إلى الوطن ليزج به في السجن، ويمكث فيه خمس سنوات، وكان خلالها يكتب المقالات ويؤلف الكتب، وقد أنهى في السجن روايته «الأبله» التي كانت ثمرة تأملاته الفكرية في الواقع والطبيعة البشرية في محاولة للتوفيق بين التجربة الخاصة وتجارب الآخرين».

وفي خلاصته لمقدمته يرى د. القواسمة أن «وقائع الحياة التي عايشها فايز محمود تجلت في أعماله السردية، وبدت شخصيته متمثلة في كل شخصية رئيسة من شخصيات قصصه، كما توضحت أحداث الحياة التي مر بها في سروده بدءا من فشله في حبه الأول وانتهاء بالظروف المعيشية القاسية التي أحاطت به، وفكر إثرها بالانتحار، وكذلك كانت الأمكنة التي شهدت حياته أمكنة رئيسية في قصصه وأهمها مدينة المفرق، وظهرت شخصيات أصدقائه، وبخاصة تيسير سبول ممثلة في مواضع عديدة من أعماله..»».

ويرى الروائي والشاعر إبراهيم نصرالله في مقدمة مبتسرة لرواية «الأبله» أنها حالة انفلات كاملة من القيد، بل لعلها طموح لسحق القيد بقدمين عاريتين، فحين كتب «الأبله» كان يريد الوصول إلى النافذة بكل قوته ليرى العالم كيف يسير، وعندما لم يستطع استعادة الماضي وأطلق الذاكرة بكل هذه الشفافية المجروحة».

أما الناقد د. خليل الشيخ فيرى في مقدمته للمجموعة القصصية «قابيل» أن فهم نتاج فايز محمود يحتاج إلى شرط رئيس، لا أظن ناقدا يستطيع الاستغناء عنه، وهذا الشرط هو معرفة حجم المعاناة الداخلية التي يحياها فايز في رحلته لفهم ماهية الإنسان. لقد فزع فايز محمود إلى الفلسفة فكتب عن «الحقيقة» لعله عبر معرفتها يرتاح، ولكنه أحس أن «العبور دون جدوى» لأن إدراك ماهية الإنسان وتوزعه بين «الحرية والضرورة» «يشبه فهم «ثلاثة نقوش محجوبة»، وها هو يعود إلى «قابيل» يسعى عبر قراءة تاريخه كما رسمته المخيلة السامية، وعبر إعادة صياغته إلى محاولة الارتقاء بالإنسان وهو في هذا اللقاء يترجم الشهوة الداخلية للفنان التي يعززها الموقف الفلسفي، هذه الشهوة التي تسعى إلى رؤية الوجه الداخلي للإنسان وهو يواجه الموت، سواء أكان هذا الموت للذات أم للآخر، إن اللقاء مع الموت يشكل الذروة الفنية في هذه المجموعة، حيث يتجسد هذا اللقاء على نحو تراجيدي يمثل في المحصلة النهائية الصراع الأبدي بين هاتين اللحظتين...»، ويتابع د. الشيخ تحليله قائلا «إن أجواء مجموعة قابيل القصصية وجودية تماما، يسيطر عليها الموت، ولكن سيطرة الموت هذه هي التي تدفع أبطالها كي يتشبثوا بكل جزئية من جزئيات الحياة، وكي يتعلقوا بها رغم تناقضاتها الكثيرة التي تبعث على اليأس في نفوسهم لذا يغدو الموت عدوا يتجنبونه، وفي الوقت ذاته صديقا يتوقون إليه، إن هذه المجموعة التي تبدأ بـ«قابيل» وتنتهي في «النهاية» بانتحار تيسير سبول لتجسد عبر إحساسها بالفجيعة مقولة «شوبنهور» «التي ترى أن الموت هو الهدف الحق للحياة بمعنى أن حذف الموت من حياة البشرية يجعلها غير قابلة البتة للتفلسف، ويصادر كل النزعات للتأملات العقلية».

وأخيرا نلتقي مع مقدمة لمجموعة «بلا قبيلة» التي صاغها الناقد د. سليمان الأزرعي، ويقول عن هذه المجموعة وصاحبها «ربما لا أكون مغاليا إذا قلت إنني من قلة يعرفون الغبن الذي لحق بالكاتب والمبدع الصامت، الزاهد بلا قبيلة، مقطوعا من شجرة، غير قابل لأن يكون قلمه حوزة لحزب أو جهة سياسية أو تجمع.... ولقد مارس فايز محمود حياة السجن والحرية باستقلال كبير، وهذا ما أجج لديه قلقه الوجودي التقدمي النبيل، هذا القلق الذي أدعو القارىء لأن يتمثله بنفسه عبر قراءته لهذه المختارات، وفي أعماله الفكرية في الكون والوجود ترجم فايز هذا القلق المسؤول تجاه الحياة في أكثر من كتاب، امتزج فيه الفكري بالإبداعي، حيث لا تعثر في تلك الكتابات على الفكر المجرد الخالص، ولا تجد نفسك أمام أدب خالص أيضا، وإنما مزيج منهما معا، إنه فكر مجبول بحس إبداعي رهيف، أما في مجال الكتابات الإبداعية فقد تجلى قلق محمود الوجودي مرة أخرى، ولكنه بلغة إبداعية خالصة هذه المرة، عكسته حركة الشخوص في أعماله القصصية، وصراعاتها الداخلية، وبوحها الساخن بالأعباء الكبرى، التي يئن تحت ثقلها نموذج المثقف الإنساني الكبير، وهو النموذج الغالب في قصصه، وكأنما أولئك الأبطال نسخ حية من مبدعيها في مختلف إيقاعاته الحياتية، وصور معاناته الواعية».

وبعد فإن أعمال فايز محمود الكاملة في جزئها الأول، توفر فرصة للقراء وطلبة الجامعات والمثقفين والباحثين لمعاينة تجربة مبدع أردني متميز عجنت معاناته الحياتية وقلقه تجاه الكون والحياة مع ما يكتب من سرود على قدر عال من الإتقان، والسلاسة والعمق، وربما تجيء هذه الأعمال منبهة ولو بشكل متأخر لمعاناة أديب لا يكاد يجد قوت يومه، فيما تتناهبه الأمراض وصروف الزمان، وهذا أمر غير قابل للتأخير، فربما بعد وقت ليس بالبعيد سيأكل الندم من يندم على ترك مبدعي الأردن نهبا للظروف القاسية التي دفعت فايز أكثرمن مرة للانتحار متوافقة مع قلقه الوجودي.

برعاية بيت الشعر الفلسطيني:

أدونيس ومبدعون عرب يشاركون في فعاليات أسبوع حسين البرغوثي للثقافة الفلسطينية

رام الله ـ «القدس العربي»:

«كنت أميل إلى الظن، منذ سبعينيات القرن الماضي، أن في الحركة الفلسطينية ما قد يرج السبات العربي، السياسي والثقافي. غير أن التجربة الحية كذبت، ويا للأسف، هذا الظن. وها هي الحركة السياسية ـ الثقافية العربية تبدو كأنها جسم ضخم قلما يتحرك إلا لغاية واحدة كذلك: أن يلتهم بعضه بعضا، وقلما يفكر إلا لغاية واحدة كذلك: أن ينفي بعضه بعضا.. ثمة، إذا خلل كبير: إما أننا لا نعرفه، وهذه طامة كبيرة وإما أننا، على العكس، نعرفه لكن لا يجرؤ أي منا، بحجة أو بأخرى، على الجهر به، وتلك هي الطامة الكبرى.. علي هنا أن أسارع إلى القول أننا كنا في الكتابة الأدبية والفكرية، وفي الشعر تحديدا، نستشف عند شخص أو آخر، قليلا أو كثيرا قبسا يشير إلى ذلك الخلل. وكان حسين البرغوثي واحدا منهم. ففي كتابته ما يضيء الطريق إلى تحرير الذات، وإلى أن تحرر الجماعة من خارج لا يتم حقا إلا إذا كان مؤسسا على تحررها في الداخل ومن داخل».. بهذه العبارات خاطب الشاعر العربي الكبير أدونيس، جمهور رام الله، مساء أمس، متحدثا عن الشاعر الراحل حسين البرغوثي، في افتتاح فعاليات أسبوعه للثقافة الفلسطينية، في الكلمة التي ألقاها بالنيابة عنه، د. عادل سمارة.

وفي كلمته عبر الهاتف، أكد د. عطا الله أبو السبح، وزير الثقافة، على أهمية الشاعر البرغوثي كأحد أقطاب الثقافة الفلسطينية، مشيدا بموهبته في الشعر، والنقد، والترجمة، والفلسفة، قائلا: كما يفاخرون بالعقاد، وطه حسين، وغيرهم، يحق لنا أن نفاخر بالبرغوثي، هذا الفارس الذي ترجل باكرا عن جواده.

وطالب أبو السبح الشباب الفلسطيني بالنهل من منبع البرغوثي، الذي أحب فلسطين وأحبته، خاصة في هذه الأوقات العصيبة التي نعيشها، مشددا على أهمية مشاركة الجميع في نشر إبداعات البرغوثي في جميع أنحاء العالم.

وأعلن الشاعر مراد السوداني، رئيس بيت الشعر الفلسطيني، انطلاق فعاليات أسبوع حسين البرغوثي الثقافي، في حين أعلن الشاعر عبد الرحيم الشيخ، عن جائزة البرغوثي للإبداع.

وقال السوداني مخاطبا روح الشاعر «الغائب الحاضر»: سلام عليك مقدار اقتراب بعدك عنا.. وغيابك فينا.. روحا عالية وطاقة لذي عقل مكين.. سلام عليك تدني النجوم من يديك.. وعليك نثار الكلام الموغل في الرؤيا والتأمل المحض.. سلام عليك وأنت تنادي الطيور إلى حضرتك وتعلي البلاد كلاما يتنفس برية في ابتداء النشيد الدامع رجعا في الذهاب مبكرا إلى أول الصحو.

وتابع السوداني: ها نحن يا سيدي في افتقادك الجم.. وفقدك العميم نحمل القلب على منصة القول نطويه طي الحنين ونهديه لك بنوح دامعة الأعين، وما تخفي الصدور من لوعة الذاكرة، ورنينها الذي ينحت في الزرقة مساحة لنداهات الندب، وأجراس الحزن الفعال.. في هذا الزمن المبني للمجهول ومعلوم الغدر، ونقصان اللحظة، ولحظة النقصان العليا.

وتحدث الشاعر عبد الرحيم الشيخ، في كلمة اللجنة التحضيرية للأسبوع، عن «ظاهرة» حسين البرغوثي، و«معجزته المشتهاة»، فقال: تحول حسين البرغوثي إلى «مخلص» من كثير من أمراض الثقافة، وأخطرها «العقم»... فحين أدنى حسين «الحلم» من حيز «الشعر»، لم يكن يجرب أطروحته الفلسفية حول أنظمة الطبيعة والكون كيف تسيل في نظام اللغة إلهاما وتحويلا بين ذات وموضوعها، وحسب، بل كان يجرب فلسطينيته.. هو يقول للفلسطيني: إن الكتابة، هي الجغرافيا والزمن العصيين على الاستباحة والاختراق: هي أرضنا التي لا تسرق لمستوطنة، ولا تشق لجدار فصل عنصري، ولا تصادر لأغراض أمنية، ولا تنفى لأسباب تهدد أمن الدولة، ولا تسجن، ولا تمنح لها التصاريح تطبيعا ولا تطويعا».

وقدمت في حفل الافتتاح العديد من الفقرات الفنية، كان أولها للفنان باسل زايد، الذي قدم أغنية من ألحانه ومن كلمات الشاعر الراحل البرغوثي، في حين قدم كل من الشعراء رامي لافي، ومحمد عياد، قراءات شعرية للبرغوثي على أنغام ناي الفنان أشرف العفوري، في حين قد الشاعر نجيب صبري من أشعار البرغوثي الشعبية، ليختتم الحفل بنص مصور للبرغوثي نفسه وهو يقرأ من نص «الضوء الأزرق».

وقدمت الشاعرة داليا طه، كلمة الأصوات الجديدة، مؤكدة أن البرغوثي «ظل وفيا لسرية تنسحب به بعيدا عن حدود الخيانة»، مشيرة إلى أنه «في فقه الموت يغدو تأمل الضحية لمشهد فارقته مناسشبة للاحتفاء، كأنها هي سلطة العبث من تخرج الموجوع من كفنه إلى قعر لغة تتربص كائناتها بالغريب، لتكشف له رماد وحدته، وتبعد عن مشيئته خطى الأنبياء يباركوا نبض المستحيل».

من جهتها قدمت بترا البرغوثي، رفيقة درب «عراف الثقافة الفلسطينية»، كلمة مؤثرة، ختمتها بقصيدة تقذف القلب بحمم بركانية.. تقول فيها:... «وأما أنا فأفض بكارة الوجع بالكلمات.. وابعث رموش عيني سعف نخيل، تمشي إليك.. تنام في فيئها.. ويقطر مني عليك الدمع ندى.. وتأتي إلي بحرا تمايلت فيه «سفن الكلام»، والليل عيون من صدأ.. وأرسم بالخشب على جبين الصبح كوشم، واراني معلقة بين المدى والنحاس، ويداي سبع بجعات من زجاج يتبعن وقع صدى، صوت.. وأنا وحدي في الإناء، عيناي حجارة من صمت، وقلبي يسافر إليك في قطرة من ندى.. وأذوب كالملح في بحرك، في لونك، وأعود روحا تهيم بين التصلب في الاناء والسيولة في لونك، ووجهي صار خيوط عنكبوت «نام من تعب»».

وألقى الشاعر محمد حلمي الريشة كلمة «بيت الشعر» الفلسطيني والتي جاء فيها :

« هذا ما أنشأه «بيت الشعر» إلى «الشاعر البيت» حسين البرغوثي

عم ألقا في عليائك أيها الأفقي البليغ، وسلام دم السماء أيها الأرضي الشهيد.

لا نوقظك، هنا الآن، من هدأة نومك القصيرة/ الخفيضة أيها العالي الجميل، بل القليل يميل إليك أذنا رائية، كما شئتنا أن نكون لو أطلت رابعة صحوتنا الإبداعية، لتهمسنا من قرارة قلبك الأيلي النوم:

ـ هل حان حين حنيني الحداثي، أم.. لست/ ليس بعد؟

سنضع طين الطرش في الأذن الأخرى؛ كي ندعي عماءها السمعي نحن الذين فينا من يسمع وقع أقدام نملة الذات، فقط، وهي توقع إيقاع موسيقاها المشوهة صعودا على سلم الثقافة من أجل عناق الطاووس فيها؛ الأنفش شكلا والأحدب صوتا!

حقا.. نحن لا نوقظك، هنا الآن، أيها المنتبه المختلف، بل لأن حجم الثقافة المخدوعة كان، كما تعرف أيها العراف النبيل، ولم يزل، أكبر من إناء الضوء في فضاء عيننا الواحدة، فلجأنا إليك، نحن الثلة المغايرة، لكن ليس كما كنت تلجأ إلينا؛ تحتضننا بيديك الراجفتين قلقا، من شدة انتمائك، إلى صدرك المثقب بادعاءاتنا الباطلة، فلا تشعر سوى بألم أضلع الصدر، إذ لم تكن تحتضن سوى وجعك المنا وحدك!».

فيما ألقى الشاعر يوسف المحمود كلمة الشاعر زهير أبو شايب التي أرسلها في الذكرى الرابعة لرحيل صديقه حسين البرغوثي ومما جاء فيها : «في نصوصه، كان حسين يتفرس ليرى الموت الرابض في الأشياء، وحين أصيب بالمرض صار يتفرس في الأشياء بعين قادرة على أن لا يرى ذلك الموت المكشوف أمامها. كان يهجم على الحياة كشهيد وينهب ثمالتها، ولم يتقن قط دور الميت، لذا لم يمت سوى مرة واحدة عابرة في حياة كثيفة ومكتنزة كشف لنا بعضا من جوانبها في سيرته المدهشة (الضوء الأزرق) و (سأكون بين اللوز).

لقد كان حسين البرغوثي واحدا من أكثر من عرفتهم قدرة على التفرس، لذا كنت أجد فيه لا مجرد كاتب يمكن أن يتكرر، بل علامة ثقافية فلسطينية تقاوم رمزية الموت وتؤسس لثقافة خصب تجعل الموت نفسه مجرد دورة من دورات الحياة.

كنت أرغب في أن يكون حديثي عن حسين حديث حنين لا حديث ذكريات، لأن غيابه يشبه الحضور في أنه يترك الباب مواربا وراءه بما يسمح لمرور ضوئه الأزرق. تلك هي السيرة القمرية لحسين البرغوثي الذي لا يغيب إلا لأنه موجود في مكان آخر فوق، لكن ضوءه لا يغيب؛ والذي ينبعث دائما كنهار أبدي في الكلمة كما في شجرة اللوز التي دفن سره فيها.

رحمك الله يا صديقي حسين

الأحبة في بيت الشعر الفلسطيني الذي كنت أحد مؤسسيه، وللأخوة المشاركين في الحنين إليك، وللحضور الكريم الذي يحتفي بحضورك الساطع».

كما أرسل الشاعر جهاد هديب برقية أدبية جاء فيها : أقبلكم جميعا.. أقبل الأرض تحت أقدامكم أنتم الموجودين هناك في بلاد الدم والأرجوان.

كم أحسدكم إذ تشعرون بمرور الزمن؛ هذا العبء الهائل على الجسد والكتابة.. أهي حقا ذكرى رحيل صديقنا الكبير تعبر بنا هذه الأثناء.. أكاد لا أصدق ذلك.. هل حقا مر وقت على ليلة الأربعاء تلك التي لم أعد أذكر في أي سنة كانت...

ما زلت أحلم ـ وليس لي سوى أن أحلم ـ أن لي أخا وينتظرني في حقل لوز لا يذبل زهره.. في حقل اللوز وتحت الضوء الأزرق أحلم أنني الأخ الأصغر والأكثر شقاوة ربما أغالب أخي «الأوعى» على بعض رمل وورد فأسرقها من يديه فقط كي يلحق بي.. كي يصير لنا أن نبدأ لعبة «الغماية» في حقل اللوز وتحت الضوء الأزرق.. أختبئ في مغارة وأنتظر أن يمر بعض الوقت وبعض الحكايا عن الغزالة التي عشقت والضبع الذي يسبق ضحيته إلى الوجر.

يمر الوقت وما من «خرفشة» في باب المغارة

أخي وحبيبي وسيدي أنا ما عدت أنتظرك.. أنا لا أريد شيئا عندما أخرج من المغارة.. فقط، كما كنا صغارا وننام في طرف «الحوش» قبل أن ينطفئ فانوس الحكايا بقليل.. حسين أنت «الأوعى».. حسين.. «وسع يا أخي !» أريد أن أغفو إلى جوارك.. تحت شجرة اللوز ذاتها قرب عمود الضوء قبل ذبول الكرمة في النبيذ والحكاية.»

فيما أرسل الروائي عاطف أبو سيف من غزة برقية جاء فيها :

«تحية طيبة لحسين البرغوثي، تحية طيبة لكم، هناك اشياء نصنعها لنلتقي من أجلها وهناك أشياء تدفعنا للالتقاء. نحن نلتقي اليوم مع حسين. كنا كثيرا نلتقي معه فرادا اوجماعات، لكنه اليوم يجمعنا كلنا ويجعل من نفسه جسرا لتواصلنا في البقاع القريبة البعيدة. حسين أو الدكتور حسين، أو حسين البرغوثي، أو أبوجميل أو أبو آثر، سمه ما شئت، أو ما يتبادر إلى ذهن خريج من بيرزيت امثالي اسمه حتى يستحضر جلساته المعهودة في الكافتيرا العامة محاطا بالطلاب كعادته في أمور شتى، او محاضرته وشروحاته لجلجامش وأفلاطون وسوفيكليس في مساق الدراسات الثقافية. البعض سيذكر سجالاته في الندوات الثقافية في قاعة كلية الهندسة، لكم ان تتذكروه بالطريقة التي تشاءون. فهوم منفتح على ذاكرة متعددة مثل نص كبير منفتح على قراءات وأوجه كثيرة».

حسين البرغوثي

قصص عبد الرحمن منيف الاولى.. رومانسية وأسى وسخرية

بيروت ـ من جورج جحا:

القصص القصيرة العشر التي حملت عنوان «اسماء مستعارة» والتي تشكل بعض بدايات الكاتب عبد الرحمن منيف تعكس في ما تعكسه رومانسية من ابرز سماتها حزن وأسى وثورة بسبب الغربة القسرية وتبدد الامال بالتغيير كما تعكس سخرية ساحقة تنصب على اوضاع عربية يصورها بما هو اقرب الى الكاريكاتير المضحك المبكي.

وهو فضلا عن تركيزه على مشكلات وحالات اجتماعية يطل بأشد ما في كلماته من نفاذ عندما يصور حالات الاحباط والتشرد التي تصيب الحالمين والساعين الى التغيير في بلدان عربية تدفع الى اليأس وفي هذا العالم الذي يبدو له مجنونا ويثير الجنون. بعض قصصه يعكس احداثا وأوضاعا ومشاعر طبعت حقبة من العصر الذي كتبت فيه وهي تنقلنا مباشرة حينا وبقرار منه قائم على اعجاب وتقدير الى عوالم كتاب مثل نيكوس كازانتزاكيس في «زوربا» او بما نعتبره نحن التقاء ابن صدفة باخرين.. مثلا كأجواء الغربة والاغتراب اليونانيين المكملين لاجواء زوربا كما يصورهما امل دنقل.. او الغربة وجنون العالم ونفاقه كما نقرأ عند شعراء منهم بلند الحيدري مثلا. انها ردود فعل متقاربة ومواقف متبناة حينا والتقاء افكار ومشاعر ازاء اوضاع عاشها ادباء وشعراء في حقبة معينة من الزمن. بالاضافة الى ذلك كله برزت في القصص تلك القدرة السردية المميزة التي حلقت لاحقا بعيدا عند الكاتب الراحل وان كانت في فترة البدايات هذه مغلفة بل مسكوبة بطابع شعري شديد الايحاء والتأثير. السيدة سعاد منيف زوجة الراحل الكبير قدمت هذه القصص القصيرة فقالت في كلمات حملها الغلاف «كتبت هذه القصص بين عامي 1969 – 1970 والتي كانت مرحلة تجريبية في حياة الكاتب عبد الرحمن منيف وامتحان اولي لممارسة الكتابة حتى ان معظمها كتب قبل اي عمل روائي في وقت كان مغرما بقراءة القصة القصيرة... اجلّ نشرها مرارا للعودة اليها لتكون بشكل يرضى عنه اكثر لكن لم يجر عليها اي تعديلات اساسية لقناعته انه اذا بدأ فستتغير نهائيا ولحرصه ان تترك كما جاءت في الكتابة الاولى وضمن ظروفها. لقد قسم القصص الى مجموعتين ورتب تسلسل القصص في كل مجموعة ووضع عنوانا للمجموعة الاولى «اسماء مستعارة» و«الباب المفتوح» للمجموعة الثانية. والذي لم يتحقق هو نيته بان يحضّر مقدمة مناسبة لتلك المجموعات بعد تصحيحات بسيطة وان لم تكتمل هذه الرغبة».

وقد صدر الكتاب عن «المؤسسة العربية للدراسات والنشر» و//المركز الثقافي العربي» وجاء في 157 صفحة متوسطة القطع. التصميم والرسوم لمروان قصاب حسن. القصة الاولى حملت عنوانا هو نفسه الذي اعطي للمجموعة ككل. تجري الاحداث في هوسكوفو البلغارية. تبدأ بتلك البراعة في الوصف التي عرف بها منيف والتي تجسدت لاحقا في رسمه عالما كاملا بحياته الاجتماعية بكل شعابها وكأنه ينسج سجادة واسعة بمنمنماتها الكثيرة. يصف بداية حركة الحياة في زحمة الشارع فيقول «كانوا رجالا ونساء كبارا وصغارا خطواتهم بطيئة والجو يمتليء بذلك الدوي المخنوق الذي يتولد عندما يتكلم الناس ويضحكون ويسبرون في وقت واحد فانك تسمع الاصوات ولكن لا تميز فيها انفرادها او استقلاليتها ولا تستطيع ان تنفصل عنها لتراقبها بل سرعان ما تصبح جزءا منها».

في المطعم سرعان ما ينشأ نوع من الصداقة مع نادل تبين لاحقا انه ثائر يوناني سابق من الذين هربوا من بلدهم اثناء الصراع مع الحكم العسكري وبعد عشرين سنة لا يزال هو وعدد من رفقائه يحلمون بالعودة.

اطلق عليه الراوي اسم «زوربا» لانه ذكره به في انصرافه الى المتعة المتجسدة في الخمر والمرأة. انه ثائر محبط حزين. كأن غربته وجدت بعض عزاء في هذا الغريب الاخر فدارت الخمر وفاضت الاحزان.

اتفقا على حلم عند زوربا وهو ان يزوره صديقه الجديد عندما يعود الى اليونان بعد ان تتحرر. لقاء الغريبين ينتج ما اسماه امرؤ القيس نسبا في قوله «وكل غريب للغريب نسيب» ويذكرنا بقصيدة امل دنقل «ماريا» تلك اليونانية الاخرى التي التقاها الشاعر الغريب غريبة عن بلدها في بلد ثالث. يقول «ماريا يا ساقية المشرب/ الليلة عيد/ لكنّا نخفي جمرات التنهيد» وتنتهي القصيدة بأمل الاثنين بان يعود كل منهما الى بلده «فانا مثلك كنت صغيرا/ ارفع عيني للشمس كثيرا/ لكني منذ هجرت بلادي/ والاشواق/ ان ارجع يوما للشمس.../ قولي يا ماريا/ العام القادم يبصر كل منا اهله/ كي ارجع طفلا.. وتعودي طفلة..»». وتمضي نصوص منيف في اجواء ممتعة من السرد الشعري.

ويتغير النمط الشعري هذا في قصة «خطاب العرش» مثلا ليتحول الى سخرية مباشرة من الحكم والحكام في العالم العربي بشكل خاص. ومن قبيل الاحتياط والخوف من يد السلطات الطويلة ينهي القصة بما يوحي بانها جرت في مستشفى للامراض العصبية. انه سيف ذو حدين يهرب منه الكاتب عن طريق «تقية» لا تقي كثيرا الى القول ان الملك الذي يتكلم هو مجنون نزيل ذلك المستشفى. لكن في الامر خبثا فنيا فهذه الصورة كبعض ابيات الشعر العربية «تقرأ طردا وعكسا» فنستطيع ان نفهم منها ان احوال عالمنا العربي وسياساته وسياسيه تجعله اقرب الى مستشفى للامراض العقلية. في «عرق ..ونشرة اخبار» ينقلنا الكاتب الى عالم مجنون ايضا وكاذب ايضا. فنتذكر الشاعر العراقي بلند الحيدري في «لندن..وتدق بيج بن.. دن دن» وكذلك «قرص للنوم» حيث يصور لنا الكلام والافعال المتناقضة فالرئيس الامريكي ريتشارد «نيكسون يخطب في المجلس/ وخطاب للبابا بولس» والشاعر لا يستطيع النوم بهو محتاج الى قرص للنوم. نقرأ عند منيف وصفا لتناقضات العالم القتالة. يقول في حوار معبر.. «–ويسكي مع الصودا.. –ويسكي مع الثلج فقط –ويسكي.. بيرة.. –قهوة – قهوة سكر قليل.. –حبة ليبريوم عيار عشرة. ...والرجال يموتون يموتون وصور الصغار في محافظ جلدية عتيقة في الجيوب وصور الاصدقاء بأوضاع مضحكة وطوابع بريدية وعناوين وأرقام هواتف وأحلام صغيرة في زوايا الذاكرة».

عالم يموت ولا مهرب من اخباره الا بشرب العرق وتناول حبوب المسكنات. (رويترز)

هناك نص كلمة ادونيس:

عذاب يجيء من .. المستقبل!

■ كنتُ أميلُ إلى الظنَّ، منذُ سبعينيات القرن الماضي، أنَّ في الحركة الفلسطينيةَ ما قد يَرُجُّ السُّبَاتَ العَربيَّ، السياسيَ وَالثّقافي. غيرَ أنَّ التجربةَ الحيّةَ كَذّبت، ويا للأسف، هذا الظنْ. وها هي الحركةُ السياسيةُ ـ الثقافيةُ العربيةُ تبدو كأنّها جسمٌ ضخمٌ قلّما يتحرَّكُ إلاّ لغايةٍ واحدة: أن يلْتهمَ بعضُهُ بعضاً، وقلّما يفكّرُ إلا لغايةٍ واحدة كذلك: أن ينفي بعضُهُ بعضاً.

ثَمّة، إذاً خللٌ كبير: إمّا أننا لا نعرفهُ، وهذه طاقةٌ كبيرةٌ وإما أننا، على العكس، نعرفهُ لكن لا يجرؤ أيٌّ منا، بحجةٍ أو بأخرى، على الجهر به، وتلك هي الطامةُ الكبرى.

عليَّ هنا أن أسارعَ إلى القول أننا كنا في الكتابة الأدبية والفكرية، وفي الشعر تحديداً، نستشفُّ عندَ شخص أوَ آخر، قليلاً أو كثيراً قبساً يشير إلى ذلكَ الخلل. وكانَ حسينُ البرغوثي واحداً منهم. ففي كتابته ما يضيءُ الطريقَ إلى تحرير الذات، وإلى أن تُحرَّرَ الجماعةُ من خارج لا يتمُّ حقاً إلّا إذا كان مؤسَّساً على تحررُّها في الداخل ومن داخل.

لكن في التجربة، قولاً وعملاً، أخذت تغلبُ على كتاباتنا نزعةُ الوصول السهل وتجرفها الرغبةُ في النجاح.

فأقامت بينها وبين النّاس جسوراً مما أسميه بـ«رياء اللغة» سياسةً وثقافة، بحَجة القرب إليهم، والدفاع عنهم.. هكذا أخذت تكتفي بالقَعود على عتبة الجمهور، في معزل عن المغامرات الكبرى التي تفَرضها الرؤيةُ الخلاقة، وتفرضُها كذلك الحَالةُ العربية: مغامرة الكينونة، والهويةِ، واللغةِ، والجسدِ، والحريةِ، والتشكيلِ، والأسئلة الإنسانية الكونية، إضافةً إلى التراث وحياً، ورؤيةً، ومعرفةً وَفي ذلك ما أدى إلى أن تبدوَ هذه الكتاباتُ، وبخاصة الشعر، كأنها روضةُ أطفال. وإلى أن تبدو العروبةُ، تَبعاً لذلك، كأنها ليست إلاّ توهماً. خصوصاً أنها في المخيلة العامة حياةٌ أو الحياةُ كلُّها، غير أنها في الحياة ذاتها تفَتُّتٌ وانَهيار.ط

إذا صحَّ أنَّ في كلّ إنسان شخصين: طفلاً وبالغاً فإن الثقافة العربية السائدة تقّتلُ في العربي الجانبَ البالغَ الراشدَ، مصرةً على أن تبقيه طفلاً. ويدعمُ هذا الإصرارُ حلفٌ سياسيٌّ ـ دينيٌّ للتسلطَ والهيمنة، وعمله الأول يتمثلُ في تدميرِ القوةِ الراشدةِ في الإنسان، يومياً وعلى نحو منظم.

وها هي الثقافةُ العربيةُ تبدو كأنها تدورُ في غرفة صغيرة ضيقة، وتبدو كأنها تجسيدٌ لإرادة البقاءِ في سريرِ الطفولة.

يخيلُ إليَّ أن سماءَ العربِ لو أنها تستطيعُ أن تكونَ امرأةً، لكانت تسألُ، كلَّ يوم، بلهفةٍ وحيرة : مَنْ هؤلاء الأبناء الذين ينتمون إليّ؟

أودُّ، بدوري، أن أسأل هذه السماء:

هل سنقدرُ على الخروج من ذلك السرير، ومن تلكَ الغرفةِ الصغيرةِ الضيقة؟ متى؟ وكيف؟

الأكثرُ فاجعةً في سيرنا بين يدي هذه السماء أنّ عذابَ أرضنا لم يعد يجيءُ من الماضي الذي تكوّنت فيَه وحدَهُ وإنما أصبحَ يجيءُ كذلك من الحاضرَ الذي تعيشه، ومن المستقبلِ الذي تتجهُ إليه.

النشيد الأول والأخير

اسامة الحداد *

كملحمة يبدأ النشيد
كأسطورة تهدهد الاحلام ببيعها
أو طائر يهش علي صغاره
طاردا الفيروسات والمحارق
يبدأ النشيد
وينتهي علي أعتاب نفق مظلم
يعرف بابه القادمون
وينتظر قوائم الوصول
الحرير سيترك الاشواك
والاجساد الملقاة علي الطرق
تغادر النشيد
لا فارق بين التظاهرات في باريس
وللصياح في القاهرة
بين القمة المدببة لبرج إيفل
وزهرة اللوتس الذابلة علي رأس الجزيرة
الاشخاص متشابهون
والدماء تنتهي متجلطة علي الاسفلت
والايقاع يقطع الفضاء كدانة مجهولة
الهوية
او عاطلين عن العمل
يقفزون من الطابق الأخير
لناطحة سحاب تتهاوي
هكذا يقف المتشابهون خلف الأسوار
أو أمام رقعة الشطرنج
وحين تطعن البيادق الملك
يهتفون مات الشاه.
والملك لا يموت
تبدأ اللعبة من جديد
وتسقط البيادق بأصابع اللاعبين
محاصرة هي روادة
والرءوس معلقة علي أسوارها
والجثث تتدلي علي أبواب القاهرة
فيما يغفر الباستيل فاه
النشيد واحد
والايقاع الرتيب للجنود
وهي تحاصر البسطاء
يلتف كالضباب
او كقرني ثور
مصاب بجنون البقر
والحلبة بلا جدران
لقد سقط المصارع
الاكثر مهارة
لحظة انهيار
المدرجات
وانكسر
النصل في الهواء
والمشاهدون يتساقطون
الضباب يملأ الأمكنة
والنشيد يخرج
من حناجر معلقة بالسلاسل
علي مؤخرة المصفحات
ومزينة بالدم

* شاعر من مصر